الأسس النظرية والمنهجية للتنبؤ العلمي في البحث الاجتماعي

د. ماجد ملحم أبو حمدان*

الملخص

الأسس النظرية والمنهجية للتنبؤ العلمي في البحث الاجتماعي تعالج هذه الدراسة مسألة التنبؤ العلمي في العلوم الاجتماعية، مستخدمة المنهج الوصفي التحليلي الاستدلالي في الدراسة. وقد أوضحتْ الارتباط الوثيق للتنبؤ بالنظرية العلمية المفسِّرة للظاهرة. وأضاءت على أهمية الإجراءات المنهجية الملائمة للنظرية العلمية الموجِّهة لمسار البحث في تحقق التنبؤ بمسار الظاهرة المستقبلي.

وتتبع أهميتها أيضاً من كونها تسلط الضوء على مسألة ارتباط التنبؤ العلمي بالنظرية العلمية، والإجراءات المنهجية الملائمة لها ولموضوع البحث التي تسهم في اختبار الفروض والتوصل إلى القوانين التي تخضع لها الظاهرة.

وتحاول الدراسة الكشف عن طبيعة التنبؤ العلمي، وتعرُّف الأسس النظرية والإجراءات المنهجية التي يرتكز عليها التنبؤ العلمي في العلوم الاجتماعية، ومعرفة العلاقة بين التنبؤ العلمي، والدراسات المستقبلية الهادفة إلى تنمية المجتمع، وتعرُّف دور الظروف في تحديد العلاقة بين مفهومي السبب والنتيجة.

وقد خلصت إلى بعض النتائج نذكر منها: يرتبط التنبؤ العلمي بالنظرية العلمية التي تشكل الإطار النظري للبحث. ويرتكز التنبؤ العلمي على الإجراءات المنهجية التي تتوافق مع النظرية العلمية المفسِّرة لآلية حدوث الظاهرة في الماضي.

* أستاذ مساعد في قسم علم الاجتماع – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق.

Theoretical and Methodological Basis for Scientific Prediction in Social Research

Dr. Majed melhm Abou Hamdan*

Research Summary

This survey handles the matter of Scientific Prediction of Social Sciences, using the Descriptive, Analytical and Deductive Method in the Study. It explained the firm link of Prediction with the Scientific Theory which explains the Phenomena. It highlighted the importance of methodological procedures that fit the Scientific Theory which directs the track of the Research to attain prediction in the future track of the Phenomena.Its importance, also, stems up by highlighting the matter of linking the Scientific Prediction with the Scientific Theory , and the fitting methodological procedures and the subject of the research which contributes to test the Hypothesis and to reach to the Laws that the Phenomena is subjected to .

The survey attempted to identify the theoretical basis and the ethodological steps on which the Scientific Prediction based, and discovering the nature of Scientific Prediction in social sciences, and recognizing the relation between the Scientific Prediction and the future studies which aims at developing society, and to identify the role of circumstances in demonstrating the relationship between both concepts the reason and the result .

* Associate professor- Department of Sociology - Faculty of Human sciences and arts - Damascus University- Syria.

It concluded some results such as: Scientific Prediction is linked to the Scientific Theory which forms the theoretical framework of the research. and the Scientific Prediction is based on the methodological procedures which agrees with the Scientific Theory that explains the mechanism of the phenomena occurrence in the past .

المقدمة:

يهدف البحث إلى تحليل العوامل والأسباب التي يؤدي تفاعلها إلى نشوء الظاهرة الاجتماعية وانتشارها كما يشرحها الرواد الأوائل في علم الاجتماع، في محاولة لاستخلاص الأسس النظرية والتحليلية والمنهجية لعملية التنبؤ العلمي بعامة، وفي علم الاجتماع بشكل خاص، كالتنبؤ بمعدلات البطالة، والولادات، أو التنبؤ بمسار ظاهرة معينة في المجتمع، أو التنبؤ بمدى انتشارها في هذا الوسط الاجتماعي أو ذاك.

إن التنبؤ العلمي يساعد في إنجاز عملية الضبط والتحكم بالعوامل والظروف التي تحكم الظاهرة، وتؤدي إلى حدوثها أو منع حدوثها، وهذا يعني تحقيق الهدف النهائي للبحث العلمي، والإسهام في تحقيق تطور المجتمع وازدهاره.

أولاً: تحديد مشكلة البحث:

يُعدُّ التنبؤ العلمي وظيفة مهمة من وظائف العلم، ويرتبط تحقيقها بوظائف العلم الأخرى التي تسبقها، وتمهد لإنجازها، وكذلك بالنظرية التي تساعد الباحث من خلال مكوناتها على التنبؤ بمستقبل الظاهرة المدروسة. ومن وظائف العلم الأخرى" إقامة القوانين العامة التي تحكم اكتشاف الأحداث الواقعية، أو المسائل التي يبحثها. ومن ثم تساعدنا على الربط بين ما توصلنا إلى معرفته من أحداث، كما تمكننا من التوصل إلى تنبؤات ثابتة تتعلق بتلك الأحداث التي لا تزال غير معروفة" (رشوان، 1992، 12). إن التنبؤ يساعد في إنجاز وظيفة مهمة من وظائف العلم، وهي الضبط والتحكم في الظواهر المدروسة، فيعمل على تعزيز الأسباب والظروف المساعدة على نشر الظاهرة الاجتماعية المدروسة وتعميمها، إن كانت مفيدة للمجتمع، وعلى الحدِّ من الأسباب والظروف المؤدية لها إن كانت ضارة بالمجتمع.

غير أن التجارب البحثية في علم الاجتماع مازالت تبين وجود مجموعة كبيرة من المشكلات البحثية ذات الطابع النظري والتحليلي تارة، وذات الطابع المنهجي تارة أخرى، بالإضافة إلى مشكلات تتعلق بالتكوين العلمي للباحثين، تعيق عملية التنبؤ وتحول دون إمكانياتها في البحث الاجتماعي، مع الأخذ بعين الاعتبار تباين هذه المقدرة بين الباحثين أنفسهم، وبين الدراسات الاجتماعية بشكل عام.

وانطلاقاً من أهمية التنبؤ العلمي ووظيفته في سياق التطور العلمي، تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤل الرئيس الآتي: ما الأسس النظرية والمنهجية للتنبؤ العلمي في البحث الاجتماعي؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس التساؤلات الآتية:

1– ما طبيعة التنبؤ العلمي، ومظاهر العمل به في العلوم الاجتماعية؟

2– ما الأسس النظرية والعملية التي يرتكز عليها التنبؤ العلمي؟

3– ما المشكلات المنهجية التي يمكن أن تحدَّ من إمكانية التنبؤ، وتحول دون نجاحه في علم الاجتماع؟

4– ما علاقة الظروف الاقتصادية والاجتماعية للظاهرة بقدرة البحث العلمي على التنبؤ؟

5 – ما علاقة القدرة على التنبؤ والدراسات المستقبلية؟

ثانياً: أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تعدُّ محاولة متواضعة، تتمثل في تسليط الضوء على مسألة ارتباط التنبؤ العلمي بالنظرية؛ ومن ثمَّ العمل على توضيح علاقة ارتباط التنبؤ العلمي وارتكازه على النظرية. كما تنبع أهميتها من سعيها للإضاءة على الأسس المنهجية والإجراءات التي توفر – باتباعها – للباحث الاجتماعي إمكانية التنبؤ العلمي بمسار الظاهرة بالمستقبل، بدءاً من الكشف عن أبعاد الظاهرة المدروسة، مروراً بتحليلها وتحديد العلاقات التي تربط بين متغيراتها، وصولاً إلى اكتشاف القوانين التي تخضع لها في مجرى تطورها. كما تكمن أهميتها في الإضافات العلمية المأمول التوصل إليها من إنجاز هذه الدراسة.

ثالثاً: أهداف البحث:

يسعى الباحث من إنجاز هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1– الكشف عن طبيعة التنبؤ العلمي في العلوم الاجتماعية.

2– تعرف الأسس النظرية والإجراءات المنهجية التي يرتكز عليها التنبؤ العلمي.

3– تعرُّف العلاقة القائمة بين الظروف المحيطة بالظاهرة، وبلوغ التنبؤ العلمي بمستقبل الظاهرة.

4 – تعرف العلاقة بين التنبؤ العلمي لمستقبل الظاهرة الاجتماعية، والإجراءات المنهجية لعملية الضبط والتحكم بها.

5 – تعرف العلاقة بين التنبؤ العلمي، والدراسات المستقبلية الهادفة إلى تنمية المجتمع.

رابعاً: المفاهيم، والمصطلحات العلمية:

1- العلم: يُعَرَّفُ العلم بأنه" مجموعة من المعارف الإنسانية التي تتضمن المبادئ والفرضيات والحقائق والمفاهيم والقوانين والنظريات التي كشفها الإنسان" (عطوي، 2009، 15).

كما أن مفهوم العلم يختلف" باختلاف موضوعاته ومجالاته وأدواته ومناهجه، ويعني" ذلك النشاط الذي نتمكن بوساطته من معرفة الظواهر وفهمها، ونمارس بوساطته الضبط والتحكم في العالم الطبيعي" (حامد، 2007، 20).

ويعرّف شوتسShutts العلم بقوله:" العلم هو عبارة عن مجموعة من الطرق المنطقية والمنتظمة والموثقة من أجل فحص أو دراسة الطبيعة وظواهر وأحداث طبيعية؛ وهو أيضاً المعرفة التي تنتجها هذه الطرق من الفحص والدراسة ... ولكن العلوم الاجتماعية هي هذه الطرق نفسهاالتي تفحص المجتمعات والظواهر والأحداث الاجتماعية وتدرسها" (Shutts, 2004, 8).

" فالعلم هو طريقة للحصول على معرفة عن ظواهر قوانين كونية ثابتة ممكن اكتشافها من خلال ملاحظات وضعية، وذلك من أجل فهم الظواهر (أي وصفها وتفسيرها والتنبؤ بها)" (ناصر، 2017، 238).

2- التنبؤ العلمي: يقصد بالتنبؤ العلمي" استنتاج وقائع جديدة ممكنة الحدوث في المستقبل من الحقائق التي تمَّ التوصل إليها، وعُبِّرَ عنها بالقوانين" (حكيمة، 2017، 270).

3- الاستشراف: نوع من التميز المشروط على طريقة: ماذا يحدث لو؟ أو: إذا تحقق كذا يكون كذا ..." (أحمد، 2009، 13)

4- الضبط والتحكم: " تتطلب عملية ضبط الظواهر الطبيعية والاجتماعية فهمها بشكل متعمق، ومعرفة القوانين الناظمة لها. ويُقصَد بالضبط، التحكم في العوامل الأساسية التي تسبب ظاهرة ما بغية إحداثها، أو منع وقوعها" (أبو حمدان، 2013 – 2014، 27).

إن عملية ضبط ظاهرة ما تتوقف" على مدى صحة تفسيرها، ومعرفة أسباب الحقيقة المسببة لها، وفي الوقت نفسه تزداد قدرتنا على ضبط الظاهرة، والتحكم فيها كلما زادت قدرتنا على التنبؤ بها" (صابر، وخفاجة، 2002، 19).

5- النظرية: تُعرَّف النظرية بأنها" نسق من القضايا والقوانين والتعميمات المجردة التي تم تحقيقها" (رشوان، 1992، 10).

6– القانون: يُعرَّف القانون بأنّه" عبارة تربط بين متغيرين أو أكثر، بحيث إذا حدث تغير في أحدهما حدث تغير في المتغير، أو المتغيرات الأخرى. وتسمى المتغيرات السببية (المدخلات) بالمتغيرات المستقلة Independent، وهي تلك المتغيرات التي يحدد العلم تأثيرها في المتغيرات الأخرى (التابعة). أما المتغيرات الناتجة (المخرجات)، فهي متغيرات تابعة Dependent تتغير تحت تأثير المتغير المستقل" (رشوان، 1992، 10).

خامساً: منهج البحث:

تصنف هذه الدراسة ضمن إطار الدراسات النظرية (المكتبية)، حيث تعتمد على الأدبيات المنشورة في علم الاجتماع والعلوم الأخرى حول موضوع التنبؤ العلمي. ويستخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الاستدلالي، لأنه يمكّن الباحث من تقديم توصيف دقيق لمختلف جوانب الظاهرة المدروسة، ويتيح له إمكانية تحليلها إلى العوامل الأولية التي تتكون منها، بغية الكشف عن العلاقات العامة والضرورية والجوهرية التي تربط بين متغيراتها.وهذا يساعد على تحديد الأسباب التي أدت بتفاعلها مع الظروف المحيطة بالظاهرة إلى حدوثها بشكلها الحالي، والكشف عن القانون الذي تخضع له في مسار تطورها؛ الأمر الذي يمكنه من تقديم تفسير علمي لكيفية حدوث الظاهرة. وهذا يتيح للباحث إمكانية التنبؤ بحدوثها مستقبلاً، إذا توافرت ظروف حدوثها، وأسبابها، وشروطها.

سادساً: التنبؤ العلمي في العلوم الاجتماعية:

يُعدُّ التنبؤ العلمي بمستقبل الظاهرة قيد الدراسة ضرورة حيوية في البحث العلمي، سواء أكان ذلك البحث في مجال العلوم الطبيعية، أم في مجال العلوم الاجتماعية. ولا شك في أن إمكانية التنبؤ متوافرة في العلوم الاجتماعية، كما هي متوافرة في العلوم الطبيعية. لكن التنبؤ في ظواهر العلوم الطبيعية، من دون شك، أقل تعقيداً وأكثر دقة من التنبؤ في ظواهر العلوم الاجتماعية. ويرجع سبب ذلك إلى أن الظاهرة الاجتماعية تتكون من عدد من العوامل أكبر من عدد العوامل التي تتكون منها الظاهرة الطبيعية، وهذا يخلق صعوبة للباحث الاجتماعي عند تفسيره للظاهرة الاجتماعية والتنبؤ بمستقبلها، فالباحث في العلوم الطبيعية يمكنه – انطلاقاً من نظرية الجاذبية الأرضية التي توصل إليها نيوتن – أن يتنبأ بأن أي جسم يُدْفَعُ إلى الأعلى سيسقط باتجاه الأرض بعد تلاشي قوة الدفع، وكذلك يمكنه أن يتنبأ وفقاً لقانون تمدد المعادن أن سلكاً من النحاس سيتمدَّد عند تعرضه لدرجة مرتفعة من الحرارة. أما بالنسبة للباحث الاجتماعي، فيصعب عليه التنبؤ بالظاهرة الاجتماعية،

مثلاً، التنبؤ بانحراف الحدث نتيجة الطلاق بين الوالدين، فقد يعيش الحدث في أسرة الجد أو العم الذي يُقدِّم للحدث الرعاية التي تعوضه عن غياب الأب ورعايته له، فتنعدم أو تنخفض احتمالات انحراف الحدث بسبب عدم وجود الأب. يضاف إلى ذلك أن عوامل كثيرة تتفاعل مع بعضها،وتؤدي إلى وقوع الانحراف، كالفقر، ورفاق السوء، والخلافات الزوجية، والسكن في أماكن السكن العشوائي ...إلخ. وهذا بطبيعة الحال يخلق صعوبة تواجه الباحث الاجتماعي عند تحديد سبب انحراف مجموعة من الأحداث المنحرفين، وهذا الأمر يزيد من تعقيد عملية تفسير الظاهرة، والتنبؤ بمستقبلها.

إن الباحث الاجتماعي قد يختار لبحثه دراسة وصفية، بغية تقديم توصيف دقيق لمختلف جوانب الظاهرة قيد الدراسة، ويعتمد في ذلك على الإجابة عن السؤال الآتي: ماذا تكون الظاهرة؟

إن الباحث هنا يركز اهتمامه على تقديم توصيف للظاهرة المدروسة، مثلاً، تقديم توصيف للمستوى التعليمي في مجتمع معين، فيحدّد توزع أفراد هذا المجتمع، وفقاً لفئات المستوى التعليمي، بدءاً من فئة الأميين، وصولاً إلى فئة الدراسات العليا، فالباحث في هذه الحالة لا يهتم بتقديم تفسير عن سبب انخفاض أو ارتفاع نسبة أي فئة من الفئات، كانخفاض أو ارتفاع نسبة فئة الأميين. وقد ينطلق بعد ذلك للإجابة عن السؤالين الآتيين: الأول: مِمَّ تتكون الظاهرة؟ والثاني ما العلاقات التي تربط بين مكوناتها (متغيراتها)؟، وبهذا يكون الباحث قد انتقل إلى مرحلة أكثر أهمية؛ أي من تقديم توصيف دقيق للظاهرة إلى مرحلة تحليلها إلى مكوناتها الجوهرية، ومن ثمَّ الكشف عن العلاقات التي تربط بين متغيراتها، بغية إعطاء تفسير علمي لآلية تشكلها، يرتكز على الإجابة عن السؤال الآتي: لماذا حدثت الظاهرة بهذا الشكل، وليس على شكل آخر؟ إن الباحث هنا مطالَب بتقديم تفسير موضوعي، ففي حال دراسته لظاهرة البطالة في مجتمع زراعي معين وفي سنة محدّدة، فعليه أن يعلِّل، مثلاً سبب انخفاض البطالة في فصل الصيف وارتفاعها في فصل الشتاء.وقد يتعدّى طموح الباحث وصف الظاهرة الاجتماعية وتحليلها وتفسيرها،فيحاول الكشف عن القانون الذي تخضع له، فينطلق إلى استشراف ما ستؤول إليه مستقبلاً. وهذا يتطلب من الباحث امتلاك خبرة كبيرة، ومهارات بحثية عالية، ومضاعفة الجهود المبذولة لإنجاز البحث.

ويرى (العنبكي، والعقابي)" أن الهدف المباشر للتفكير والبحث العلمي هو إقامة تنبؤات محتملة للظواهر السياسية، تقوم على أسس وقواعد علمية وواقعية سليمة" (العنبكي، العقابي، 2015، 36).

" ولما كان للظواهر السياسية امتدادات مستقبلية، لذا فقد أضحت الدراسات المستقبلية أحدَ أهم المجالات المهمة التي يمكن من خلالها استشراف المسارات المتوقعة التي يمكن أن تسير إليها تلك الظواهر. وهنا تتردد مقولات تحليلية من مثل: كل الاحتمالات واردة، والتاريخ يعيد نفسه، فلا يوجد احتمال غير وارد، لكن الاختلاف في نسبية الاحتمال، وأيهما أقرب إلى الوقوع، كما أن الكثير من الأحداث والظواهر التي حدثت في الماضي، يمكن أن يتكرر حدوثها في الحاضر والمستقبل، إذا توفّرت لها الظروف نفسها" (العنبكي، العقابي، 2015، 36).

إن التنبؤ العلمي في العلوم الاجتماعية يشير إلى ما ستؤول إليه الظواهر الاجتماعية مستقبلاً في حال توافر شروط وظروف معينة؛ وهذا يتطلب توضيح مسألة على غاية الأهمية، وهي أن السببية بشكل عام تعني العلاقة بين السبب والنتيجة أو وحدتهما، لكن المعنى العام للسببية لا يعبر – بشكل دقيق – عن حقيقة مفهوم السببية، ففي الواقع الموضوعي لا وجود لعلاقة خالصة وصافية، تشترك فيها ظاهرتان (سبب ونتيجة) فقط.

وهذا لا يتيح للباحث إعطاء تفسير سليم لعلاقة سببية من خلال مفهومي" السبب" و"النتيجة"؛ ومن ثمَّ لا بد من مفهوم ثالث يساعد على تفسير العلاقات السببية، وهو مفهوم الظروف (انظر: بريك، 2002 – 2003، 165).

وقد أكد أنجلز الدور المهم للظروف إذ تعد شرطاً أساسياً، كي يؤدي السبب إلى النتيجة، حيث قال: " لا نجد أن حركة معينة تتبعها أخرى، بل نجد أننا نقدر على إحداث حركة معينة عندما نخلق الظروف التي في ظلها تجري الحركة، والتي لم تكن موجودة من قبل ..." (Engels, Bd. 20, 497 – 498).

إن هذه المسألة ترتب على الباحث الاجتماعي عندما يريد التنبؤ بمستقبل الظاهرة التي يعالجها أن يأخذ بعين الاعتبار الإدراك المتعمق للظروف التي أدت سوية مع السبب أو الأسباب إلى حدوث الظاهرة، وأن يعي تماماً أنّ تغير الظروف سيؤدّي إلى تغير العلاقة بين السبب والنتيجة، وهذا يعني أنه لن يكون بإمكانه التنبؤ بدقّة بمسار الظاهرة مستقبلاً.

سابعاً: الأسس النظرية والإجراءات المنهجية للتنبؤ العلمي:

تتعدّد في علم الاجتماع النظريات التي تحاول تفسير طبيعة العلاقة بين الظواهر التي تشكل موضوع هذا العلم، وهذا الأمر يثير التساؤلين الآتيين: كيف يصل الباحثون المنتمون إلى مدارس متعددة في هذا الميدان إلى الدليل المقنع لوصولهم إلى الحقيقة؟ وما الإجراءات النظرية والمنهجية التي يتبعونها من أجل تعميم ما يتوصلون إليه من

المعرفة المبنية على تفسيراتهم للظواهر المدروسة؟ فالباحثون لا يكتفون عادة" بمجرد صياغة تعميمات تفسر الظواهر، بل يحاولون التنبؤ بالطرق التي ستعمل بها هذه التعميمات في المستقبل" (أبو حمدان، 2013 – 2014، 26).

لتوضيح المسألة وتبسيطها سنتناول المثال الآتي: عندما يمرض الشخص ويشعر بالألم، يلجأ إلى الطبيب ولديه قناعة بأنه سيخلصه من آلامه، والطبيب من أجل اكتساب المعرفة عن المرض يطلب من المريض إجراء فحوصات طبية، تمكّنه من الكشف عن سبب أو مسببات المرض، أو الدليل الواقعي على وجوده. وهذا الدليل يتم تعرفه نتيجة إجراءات معينة، تتمثل فيفحوصات فيزيقية للظواهر الجسمية، كإجراء تحليل للدم، وتحليل البول، أو عينات من الأنسجة العضوية التي يعتقد أنَّها مصابة بالمرض.

إن الطبيب يهدف من ذلك الكشف عن طبيعة المرض العضوي Organic Lesion المسبب للألم، ليعمل على علاجه وفقاً للمعرفة التي توصل إليها حوله، فقد يستخدم مضادات، كالأدوية أو العقاقير Drugs، أو يلجأ إلى التدخّل الجراحي، فالطبيب بعد ملاحظته للمريض،ولكي يتمكن من تشخيص المرض بدقّة، وَضَعَ افتراضات محدّدة، ثم طلب إجراء تحاليل معينة من قبل المريض ليصل إلى الدليل المثبت عن وجود المرض وطبيعته. وهذا يعني أنه توصل إلى معرفةٍ تمكّنه من تفسير الأسباب والظروف التي أدّت بتفاعلها للإصابة بالمرض، ومن ثمَّ أصبحت إجراءات المعالجة مرتبطة بالتفسيرات التي توصل إليها الطبيب عن طبيعة المرض. انطلاقاً من ذلك يمكننا القول: إن الطبيب امتلك معرفة تمكّنه من التنبؤ بالإصابة بهذا المرض عند توافر الأسباب والظروف الملائمة، الأمر الذي يمكّنه من وضع تصور للحدّ من هذا المرض مستقبلاً، أو خطة وقائية معينة لمنع وقوعه.وهذا يعني أنّ التنبؤ العلمي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظرية، فالنظرية الاجتماعية تهدف إلى تحقيق الآتي:

"1– تصنيف الأحداث الاجتماعية وتنظيمها بأسلوب متسلسل، بحيث تقترب من تكوين رؤية واضحة المعالم.

2 – تفسير أسباب الأحداث الاجتماعية، لكي تمنح قدرة على التنبؤ بالأحداث المستقبلية وكيفية وقوعها.

3 – تستطيع أن تقدّم معنى دقيقاً حول وقوع الأحداث، وبالذات حول كيفية وقوعها وأسباب حدوثها" (عمر، 2005، 23).

ومن الجدير بالذكر أنّ القوانين التي يتوصل إليها العلماء والباحثون قد لا تنطبق على مجموعات كبيرة من الظواهر، لكنّ ذلك لا يعني أنّ تأثيرها ينحصر في الفترة

الزمنية التي عاشوا فيها فقط" فمن الحقّ أنّ القوانين التي اكتشفها كبلر Kepler لا تصدق إلا على مجموعات الكواكب السيارة، ولكنّ انطباقها لم يكن قاصراً على المجموعة الشمسية التي عاش كبلر فيها، وأخذ عنها مشاهداته" (بوبر، 1992، 112).

أما بالنسبة للظاهرة الاجتماعية، فقد لا تتوافر إمكانية الوصول إلى مثل هذا القانون، ومردُّ ذلك تداخل العناصر وتنوعها والتي قد تؤدّي إلى" تحقق القانون أو صدق التنبؤ المترتب عليه أو عدم تحققهما، ولعل من أبرز العناصر عنصر الإرادة الإنسانية، فالظاهرة الاجتماعية هي في نهاية الأمر محصلة لإرادة المشاركين فيها، بحيث لا يمكن الادعاء بإمكانية الوصول إلى قوانين على مستوى القوانين" الطبيعية"نفسها، وصرامتها.إن المختصين في علم الاجتماع، مثلا، قد يذهبوا إلى أنّهم وصلوا لقانون في الثورة الاجتماعية مؤداه ... أن التناقض الاجتماعي وأشكال القهر الاجتماعي المختلفة سوف تؤدّي إلى الثورة الاجتماعية، ومع ذلك فإن شروط الثورة كافةً قد تتوفّر، ومع ذلك لا يثور الناس لأنّهم لا "يريدون" أن يثوروا"(عودة، د. ت. ن.، 60 – 61).

وهذا لا يعني أنّه يوجد سبب يمنع من" صياغة النظريات الاجتماعية المهمة بالنسبة لكلّ الفترات الاجتماعية. فالفوارق البارزة بين الفترات لا تدلّ على استحالة اكتشاف مثل هذه القوانين ..." (بوبر، 1992، 112). وخير مثال على ذلك القانون الذي اكتشفه كارل ماركس" قانون توافق العلاقات الإنتاجية مع طابع تطوّر القوى المنتجة ومستواه" (بريك، 2002 – 2003، 146).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الإجراءات المتبعة للوصول إلى المعرفة، وكذلك إلى التفسير بالنسبة الظاهرة نفسها تتباين من حالة إلى أخرى، فلو افترضنا أنّ مريضاً مصاباً بألم في معدته، وتبين من التحاليل التي أجراها أنه مصاب بقرحة المعدة، فالطبيب سيعالجه بالأدوية. أما في حال استشارة معالج نفسي، فإن خطة العلاج وإجراءاتها،ستختلف عن سابقتها، لأن العلاج النفسي يعتمد على افتراضات مستقاة من نظرية السلوك الإنساني Theory of human behavior التي ستركِّز على العقل، ومدى تأثيره في الجسم. فالمعالج النفسي يرى" أنّ المرض العضوي له عرض عقلي مثل الضغوط، والتوتر، والاكتئاب Depression، ومن ثمَّ فإنّ التدخل في الظواهر يكون ضرورياً، فكثير من المعالجين النفسيين يصرُّون على أنّه بينما الأعراض الفيزيقية، تعالج فيزيقياً كالتدخل القائم على العقار، إلا أنّ أسباب هذه الأعراض تعالج على المستوى غير الفيزيقي، وعلى مستوى الوعي الإنساني من خلال الاستشارات العلاجية، مثل التحليل

النفسي Psychoanalysis من خلال العلاج المعرفي Cognitive therapy (القائم على التدخل في النمط والمحتوى لتفكير المريض)"(جونز، 2010، 200).

ثامناً: التنبؤ العلمي والنظرة التنموية المستقبلية للمجتمع:

لقد أصبح العلم الحديث وتطبيقاته في الواقع المعيش يؤثّر في مختلف جوانب حياتنا. وإن تقدم الأمم وتطورها" يقاس بمدى تطورها في المجالات العلمية الحديثة، ومدى قدرتها على استخدام التكنولوجيا الحديثة في المجالات الصناعية والزراعية والاقتصادية والاجتماعية، وغيرها من المجالات، بقصد تحقيق حياة أفضل" (صابر، وخفاجة، 2002، 17).

يرى بعض الناس أنّ العلم والتكنولوجيا شيء واحد، فالعلم يعني بالنسبة لهم الآلات والأجهزة العلمية الحديثة، وهذا الرأي خاطئ، فالعلم" بناء من المعرفة العلمية المنظمة والمتطورة وطريقة فعالة للبحث والتفكير. وأما التكنولوجيا، فهي تتناول التطبيقات العلمية للمعرفة العلمية في مختلف الفنون الصناعية ذات الفائدة المباشرة في حياة الأفراد والمجتمعات" (صابر، وخفاجة، 2002، 17 – 18). وإن هذا يقود إلى تأكيد الصلة الوثيقة بين الجوانب البحتة والجوانب التطبيقية للعلم" فهناك علاقة متبادلة بينهما، وأصبح دور كل منهما في حياتنا المعاصرة مكملاً للآخر" (صابر، وخفاجة، 2002، 18).

ويسعى الباحثون في أثناء إنجاز بحوثهم العلمية إلى صياغة تعميمات، أو تصورات نظرية معينة يفسرون بها الظواهر الاجتماعية التي يدرسونها، لكنّهم لا يكتفون بذلك، بل يحاولون تحقيق هدفٍ آخر للعلم؛ أي" التنبؤ بما يمكن أن يحدث إذا طبقنا هذه التعميمات في مواقف جديدة غير تلك التي نشأت عنها أساساً، ولكي تكون تلك التنبؤات مقبولة علمياً، فإنه ينبغي التحقق من صحتها" (صابر، وخفاجة، 2002، 19).

إنّ التفسير لكيفية حدوث الظاهرة، يعني تحديد العوامل والأسباب التي أدت بتفاعلها مع بعضها بعضاً إلى حدوث الظاهرة، والتفسير العلمي يؤدّي بالضرورة إلى التنبؤ العلمي. فالباحث في مجال التطبيقات يستفيد من القوانين العلمية التي توصل إليها العلماء في بحوثهم العلمية البحتة في مجالات تطبيقية متعددة، فقانون تمدّد المعادن طولياً بالحرارة يساعد في بناء السكك الحديدية والجسور وفق الأسس العلمية السليمة، فالتنبؤ بأن قضبان السكك الحديدية ستتمدد وتتقوس بفعل ارتفاع درجة الحرارة الناجمة عن حرارة الجو واحتكاك عجلات القطار بها؛ وهذا يعني خروج القطار عن السكة والأخطار الناجمة عنه، الأمر الذي يستدعي ترك مسافات معينة محددة بين قطع السكة الحديدية عند إنشائها (انظر: صابر، وخفاجة، 2002، 19).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التنبؤ العلمي يساعد في عملية الضبط والتحكم في الظواهر الاجتماعية، ويمكّن المسؤولين من تفادي المخاطر التي يمكن أن تنجم عن الظاهرة في حال عدم التحكم بها وضبطها. كما أنّ التنبؤ العلمي بالظروف والأسباب التي تسهم في تنمية المجتمعات وتطويرها والارتقاء بها من حالة إلى أخرى أكثر تطوراً، يساعد القائمين على وضع الخطط اللازمة لإنجاز التنمية المستدامة للمجتمع التي تحقق له مستلزمات التطور المخطط والمتوازن لمختلف قطاعات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والتكنولوجية والصحية والسياسية ...إلخ.

إن الدراسات الهادفة إلى التطوير المستقبلي للمجتمع، يجب أن تأخذ بعين الاعتبار التنبؤ بالنتائج المتوقعة للتطور، الإيجابية منها والسلبية، على حدٍّ سواء، فتطوير قطاع الصناعات الكيميائية، مثلاً، يتطلب استشراف مستقبلها وآلية تطويرها والتنبؤ بالأضرار التي ستنجم عنها، والتخطيط المسبق للتخلص من مخلفاتها بشكل علمي، يحمي المجتمع من الأضرار التي تترتب على عدم التخلص منها. وكذلك يمكن الحديث عن تطوير القطاع الزراعي وزيادة الإنتاجية باستخدام التسميد وأثره السلبي في التربة، إذا لم يؤخذ في الحسبان إنشاء شبكات صرف تساعد على تخليص التربة من مخلفات السماد الكيميائي ومنع ارتفاع نسبة ملوحة التربة عن الحدّ الطبيعي، حيث يؤدي هذا إلى عدم صلاحية الأرض للزراعة مستقبلا.

تاسعاً: العلاقة بين تغير الظروف المحيطة بالظاهرة الاجتماعية ودقة التنبؤ:

وعلى الرغم من صعوبة التنبؤ بمستقبل الظواهر الاجتماعية، فقد حاول الكثير من العلماء والباحثين في العلوم الاجتماعية التنبؤ بمستقبل الأحداث الاجتماعية والتاريخية، فقد تنبأ ابن خلدون، مثلا، بناءً على قانون التشبه بالأقوى الذي توصل إليه عند دراسته ظاهرة التقليد التي لمسها عند من تبقى من العرب في الأندلس بغلبة الإسبان وسقوط العرب (انظر: مرحبا، 1989، 132).ولقد صدق تنبؤ ابن خلدون في هذه الحالة، لأنه تمكن من الإحاطة بأسباب الظاهرة والظروف المرافقة لهذه الأسباب بدقة، فهو عايش فترة الاضطراب والفوضى التي سادت تلك الفترة، ورافقت فترة انهيار الدولة.

وانطلاقاً من القانون الذي توصل إليه إميل دوركايم Emile Durkheim حول التماسك الاجتماعي تنبأ أنه" كلما كان التماسك الاجتماعي بين الأفراد قوياً، قلّت نسبة الانتحار، وكلما كان التماسك الاجتماعي ضعيفاً، زادت نسبة الانتحار. وقد أثبتت الدراسات صحة هذا التنبؤ.

وقد تنبأ ابن خلدون بأنَّ أعمار الدولة في الغالب مائة وعشرين عاماً تقريباً، إذ يقول:" لا تعدُو أعمار ثلاثة أجيالٍ، والجيل هو عمر شخص واحدٍ مِنَ العمر الوسط فيكونُ أربعينَ الذي هو انتهاء النمو والنُّشوءِ إلى غايته" (ابن خلدون، 1984، 170). وهذا التنبؤ لم يؤكده التطور التاريخي للمجتمعات بعد ابن خلدون، فهناك العديد من الدول أعمارها زادت عن ذلك بكثير، ومازالت متألقة في تطورها.

كما درس كارل ماركس الأشكال المختلفة لتنظيم الإنتاج التي" تسمى نماذج الإنتاج، وهي على التوالي: المشاعية البدائية، والنظام القديم، والإقطاع، والرأسمالية، والاشتراكية والشيوعية" (جونز، 2010، 96). ومن خلال دراسته لهذه النظم تنبأ ماركس أن" كلّ المجتمعات ستمرّ بشكل حتمي بكلّ هذه المراحل من التاريخ، وستصبح كلّها اشتراكية بشكل حتمي كذلك. وعلى الرغم من ذلك فكلّ المجتمعات لم تتطور بالشكل أو النمط نفسه، لأنه خلال أي حقبة زمنية بالتاريخ، ظهرت أنواع أو نماذج متعددة للإنتاج في مجتمعيات مختلفة، وهي على مستوى مراحل مختلفة للنمو والتطور التاريخي" (جونز، 2010، 98).

لقد وجه كارل بوبر نقداً إلى فكرة مراحل النمو حين هاجم جميع المذاهب تحت اسم "الإغراق في التاريخية". وقد ذهب بوبر إلى أن هدف الاتجاه التاريخي التوصل إلى قوانين تحدّد نوعاً من التتابع الضروري لمراحل التاريخ أو النمو. وقد رأى بوبر أن المغرقين في التاريخية أو الاتجاه التاريخي، وخصوصاً ماركس" يعتقدون بأنَّه بمساعدة هذه القوانين سوف يتمكن العلم الاجتماعي من التنبؤ بمراحل النمو المستقبلية. ولذلك فقد عدَّ مطلب التنبؤ بالمراحل الاجتماعية المستقبلية، يتسق تماماً مع وجهة النظر التي مؤداها أن هناك قانوناً يحكم العملية التاريخية" (غيث، 1986، 80).

إنّ تغير الظروف التي عايشها ماركس، وعدم تمكّنه من معرفة التغيرات والظروف التي ستحصل مستقبلاً بالشكل الدقيق، لم يمكِّنه من التنبؤ بمسار تطور المجتمعات، فقد أكدت التطورات اللاحقة عدم صحة تنبؤ ماركس بحتمية مرور كلّ المجتمعات بالمراحل التي حددها، فقد طرحت بعد ذلك، نظرية حرق المراحل التي يرى مناصروها أنّه ليس بالضرورة أن تمر كلّ المجتمعات في المراحل التي أشار إليها ماركس، لأن تجاوز تخلفها، يتطلب منها اختصار زمن تطورها قدر المستطاع.

إنّ التغيرات المتسارعة التي تطال مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، والظروف المحيطة بالأسباب التي أدّت إلى حدوث الظاهرة بالماضي، تشكل صعوبة بالنسبة للباحث الاجتماعي، عندما يريد التنبؤ بمسار الظاهرة، وكيفية حدوثها بالمستقبل. والسبب

في ذلك أن تغير الظروف يؤدي إلى تغير العلاقة بين السبب والنتيجة. وهذا يعني – في أحيان كثيرة – عدم تمكن الباحث الاجتماعي من التنبؤ بالنتيجة. وهذا ما حصل مع عدد من الباحثين، حيث لم يؤكد الواقع لاحقاً صحة تنبؤاتهم.

ويقدم كارل بوبر Karl Popper برهانه حول عدم إمكانية المتنبئ العلمي – سواء أكان عالماً من البشر أم آلة حاسبة – أن يتنبأ بالطرق العلمية" بما سيصل إليه من نتائج في المستقبل. والمحاولات التي يبذلها في التنبؤ لا يمكن أن تبلغ نتيجتها إلا بعد حدوث هذه النتيجة، أي بعد أن يكون الوقت قد فات على التنبؤ. وبعبارة أخرى لا تصل هذه المحاولات إلى نتيجتها إلا بعد أن يكون التنبؤ قد استحال إلى مجرد تقرير لما وقع في الماضي" (بوبر، 1992، 8 – 9).

إنّ الباحث الموضوعي ينظر إلى الحقائق العلمية على أنّها ليست مطلقة أو أبدية لا تتبدل أو تتغير، فهي ليست معصومة من الخطأ أو مقدسة، لأنها" صادرة عن الإنسان، وترتبط بزمان معين وظروف معينة. وهي صحيحة في حدود ما يتوافر لها من الأدلة أو البراهين التي تدعمها، وتثبت صحتها وقت اكتشافها، وفي حدود الظروف والوسائل والإمكانيات المتوفرة وقتئذ، فإذا ما استجدت أدلة أو ظروف وإمكانيات جديدة تبيِّن خطأها أو عدم صحتها، فإن الحقيقة العلمية تتغير أو تتعدل" (صابر، وخفاجة، 2002، 20 – 21).

ولتوضيح العلاقة بين تغير الظروف المحيطة بالظاهرة الاجتماعية ودقة التنبؤ، سنحاول الإجابة عن التساؤل الآتي: أين يكون التنبؤ العلمي بالنسبة للباحث الاجتماعي أكثر دقة في المجتمع القبلي، أم في المجتمع الحضري؟

تتطلب الإجابة عن هذا السؤال الفهم المتعمق لطبيعة الحياة الاجتماعية في المجتمع القبلي وفي المجتمع الحضري، وإدراك حجم التغيرات الحاصلة وسرعتها في كل منهما، ومدى تأثيرها في دقة التنبؤ. فالحياة الاجتماعية بالمجتمع القبلي تتصف بالبساطة، فالظواهر الاجتماعية أقلّ تعقيداً وتشابكاً وتداخلاً، كما تتصف ببطء تغيرها وانخفاض نسبة هذا التغير ،وتقتصر في تلبية متطلبات حياتها – في الغالب – على الضروريات. أما المجتمع الحضري، فيمتاز بتعقد الحياة الاجتماعية فيه، وتعدد العوامل ،وتداخلها ، وتشابك الأسباب التي تؤدّي إلى حدوث ظواهره، كما يمتاز بسرعة تغيره وشدة هذا التغير. انطلاقاً مما سبق، وبما أنّ دقة التنبؤ، تتوقف على بساطة الظاهرة وعدم كثرة المتغيرات التي تسببها، وعلى الثبات، ولو بشكل نسبي للقوانين التي تخضع لها الظاهرة، والقدرة على الإحاطة الدقيقة بالظروف التي بوجودها مع الأسباب تؤدّي إلى النتيجة،

ومع الأخذ بعين الاعتبار أنّ سرعة تغير الظواهر والظروف المحيطة بها، تصعب على الباحث الاجتماعي عملية التنبؤ العلمي، يمكننا القول: إن التنبؤ العلمي بالنسبة للباحث الاجتماعي، يكون أكثر دقة في المجتمع القبلي من المجتمع الحضري.

عاشراً: التنبؤ العلمي وعملية الضبط والتحكم في الظواهر الاجتماعية:

وحول عملية الضبط والتحكم، يكتب فان دالين" يعرف الطبيب أنّه إذا لم يفرز البنكرياس الأنسولين، لن يستطيع الجسم أن يفيد من المواد الكربوهيدراتية. ويستطيع الطبيب أن يتنبأ بما يحدث للمريض إذا وجدت هذه الحالة (حالة البول السكري). ويستطيع فضلاً عن ذلك أن يضبط البول السكري بإعطاء المريض حُقَناً من الأنسولين، أي أنّ الطبيب يمارس في الواقع فهمه لطبيعة المرض عندما يتنبأ بحالة البول السكري ويضبطها" (بدر، 1994، 21).

يقول مثل صيني قديم:" الطبيب السيئ يُشفي من المرض، والطبيب البارع يتقي وقوعه" وهذا مثل يضعه علم الطب الآن في الصميم منه، ويساعد التنبؤ الوراثي على الهداية لطريقه" (هارسناي، هتون، 1988، 38). فالاهتمام بمنع وقوع المرض أقلّ خطراً وتكلفةً من علاجه بعد الإصابة به، فإعطاء اللقاحات للوقاية من شلل الأطفال، مثلاً، يشير إلى نوعية الخدمات الصحية وجودتها في المجتمع. وإن ارتفاع نسبة النفقات المخصصة للوقاية من الأمراض يُعدُّ مؤشراً على التقدم في المجال الصحي. وفي المجتمع أيضاً، تُعدُّ عملية الضبط والتحكم بمسار الظاهرة ضرورة علمية إجرائية لمتابعة إنجاز وظائف العلم، والوصول بها إلى النهاية. فإنجاز البحوث العلمية، يعدُّ مطلباً اجتماعياً لتطوير المجتمعات وتحديثها وتنميتها وفق أسس علمية مدروسة. وتحقيق هذا يتطلب من الباحث العلمي، تحديد رؤيته حول مشكلة بحثه بوضوح، حيث تمكّنه من اختيار نظريته التفسيرية من جهة، وتحديد الإجراءات المنهجية المناسبة لها من جهة ثانية. وهذا يحقق التكامل بين نظرية البحث ومنهجه في آن معاً. فالتفسير العلمي للظاهرة موضوع البحث، والإحاطة الدقيقة بالظروف المترافقة مع الأسباب الحقيقية التي أحدثتها، توفر للباحث إمكانية التنبؤ العلمي بمستقبل الظاهرة. وهذا يمكّن القيِّمين على عملية الضبط والتحكم بالظاهرة من تحقيق هدفهم المطلوب من إنجاز العملية. وضبط الظواهر والتحكم بها ليس بالأمر اليسير سواء أكان ذلك بالعلوم الطبيعية أم الاجتماعية، إلا أنّ"إمكانية التحكم في مجال العلوم الطبيعية أكبر منها في مجال العلوم الاجتماعية. ومع ذلك فإنّ مرض السرطان حتى الآن لم يستطع الإنسان ضبطه والتحكم فيه، وكذلك الزلازل لم يستطع اتقاء أضرارها.وتتوقف إمكانية الضبط في البحوث العلمية على تحديد

مجمل الظروف والأسباب التي تؤدي إلى حدوث الظاهرة على شكلها الحالي، أو المتوقع أن تحدث عليه" (أبو حمدان، 2013 – 2014، 27 – 28). فضبط فيضانات الأنهار لاتقاء الأضرار الناجمة عنها، مثلاً، يتطلب معرفة العوامل، والأسباب، والعلاقات، وتوقع النتائج. والباحث قبل تنبئه يعتمد على وجود درجة معينة من الثبات والنظام في الطبيعة، وينطلق من أنّ ما حدث مرة يحتمل حدوثه ثانية، وبعد معرفته، على سبيل المثال، بأن الفيضانات تحدث في فصل الربيع، وهذا الأمر يترافق مع ارتفاع في درجات الحرارة، تذيب الثلوج الكثيفة التي تغطي الجبال التي تغذي هذه الأنهار بالمياه. ومع تكرار هذه الظاهرة، يُمكنه التنبؤ بحدوثها، إذا توفرت ظروف حدوثها، وأسبابها، وشروطها. وهذا يساعد في عملية ضبط الظاهرة من خلال إقامة السدود، والوقاية من مخاطر الفيضانات، وتخزين المياه خلفها، والاستفادة منها، كمصدر لمياه الشرب، أو لري الأراضي وسقاية الماشية في أوقات شح الموارد المائية (انظر: أبو حمدان، 2013 – 2014، 27 – 28).

أما الباحث الاجتماعي فيصعب عليه التنبؤ بسبب انحراف مجموعة من الأحداث، لأن العوامل والأسباب التي تؤدّي إلى وقوع الظاهرة، تتعدد وتتشابك وتتفاعل مع بعضها، ولذلك يصعب تحديد السبب بدقة، لأن تعقد الظاهرة الاجتماعية لا يتيح للباحث إمكانية العثور بسهولة على سبب وحيد يفسر به النتيجة، فقد يكون السبب الخلافات الأسرية، أو الطلاق، أو رفاق السوء، أو الفقر ...إلخ. وهذا يعيق عملية التنبؤ، ومن ثمَّ يصعِّب عملية ضبط الظاهرة الاجتماعية والتحكم بها. وهذا يجب ألا يحول دون متابعة البحث، بل يجب أن يشكل حافزاً، يدفع الباحث لاستخدام المنهج العلمي في دراسته للظواهر الاجتماعية، بغية الوصول إلى القوانين التي تخضع لها، والانطلاق منها في تنبئه العلمي بمستقبلها، والعمل على وضع الأسس العلمية لضبطها والتحكم بها.

أحدَ عشر: صعوبات التنبؤ في العلوم الاجتماعية:

تواجه الباحث في العلوم الاجتماعية صعوبات كثيرة، تحدّ من قدرته على التنبؤ، إذا ما قورنت بالصعوبات التي تواجه الباحث في العلوم الطبيعية، نذكر منها الآتي:

1– تعدُّد العوامل والأسباب، التي تؤدّي بتفاعلهامع بعضها إلى حدوث الظاهرة الاجتماعية. والاختلاف بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية هو اختلاف في عدد العوامل التي تشكل الظاهرة الطبيعية والظاهرة الاجتماعية. وهذا ما أكَّده مل Mill، "فالحدث الاجتماعي يتشكَّل من عدد من العوامل أكبر من عدد العوامل التي يتشكَّل منها الحدث الطبيعي؛ مما يخلق صعوبة بالتفسير والتنبؤ. لكن لا يمنع من استخدام المنهج

العلمي المستخدم في العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر الاجتماعية" (بريك، 2002 – 2003، 84). فالباحث في مجال الطبيعة يمكنه التنبؤ أنّ سلكاً من النحاس سيتمدد، إذا عُرِّض إلى درجة حرارة عالية. لكنّ الباحث الاجتماعي يصعب عليه التنبؤ بسلوك مجموعة من أقرباء طفل صدمته سيارة في أثناء عبوره الشارع، فاحتمالات ردة فعل هذه المجموعة متعددة، فقد تلجأ إلى قتل السائق، أو تحطيم السيارة، أو الطلب من السائق المساعدة في إسعاف الطفل، وقد تختلف ردة فعل كلّ منهم وفقاً لمستوى ثقافته.

2– عدم القدرة على ضبط العوامل الداخلية والخارجية وكشف العلاقة بينها أثناء التنبؤ العلمي، مثلاً، زوج وزوجته يعيشان مع بعضهما حياة هادئة بمودة وألفة، وفي ظروف مجهولة بالنسبة لأحدهما تحدث جفوة بينهما، فالزوج أو الزوجة لا يكتشف الأسباب الحقيقية لمشكلاته مع الشريك إذا كانت بتحريض ذوي شريك حياته بشكل مباشر، وغالباً ما يتجه تفكيره نحو العوامل الداخلية ذات الصلة بالحياة الأسرية التي تربطه بالشريك، ولا يتمكن من تفسير المشكلات إذا اتجه نحو العوامل الخارجية، وفي هذه الحالة ظهرت المشكلات بسبب تفاعل العوامل الخارجية مع العوامل الذاتية وليست نتيجة العوامل الداخلية كما افترض ذلك أحد الزوجين في بداية ملاحظته للمشكلة. ومن ثمَّ لن يتمكن الزوج أو الزوجة من توقع السلوك الذي عليه أن يسلكه ليرضي شريك حياته.

3– عدم المقدرة على إدراك العوامل غير المنظورة، مثال، موظف يعمل في شركة خاصة، يحصل على عرض مُغرٍ مادياً للعمل في مكان آخر، فيقدم حججاً واهية غير حقيقية لمدير الشركة التي يعمل بها ليبرر ترك عمله، ومن ثمَّ يلتحق بالعمل الجديد. وهنا يصعب معرفة السبب الحقيقي الخفي وراء رغبته في ترك العمل، ومن ثمَّ يصعب التنبؤ بما سيقدم عليه هذا الشخص في المستقبل.

4– تمتاز الظواهر الاجتماعية بتغيرها وتطورها باستمرار، وهذا يعيق الدراسة العلمية لها، ويصعب التنبؤ العلمي بمستقبلها" فالمادة التي يجمعها باحث ما حول ظاهرة معينة ربما أصبحت مادة قديمة وربما تجاوزتها التحولات والتغيرات الاجتماعية حتى قبل أن يصل الباحث إلى نتائج نهائية في دراسته. أي أنّ حركة المجتمع قد تسبق حركة البحث الاجتماعي بشكل يحول دون الوصول إلى نتائج ثابتة أو قوانين ثابتة عن المجتمع والحياة الاجتماعية" (عودة، د. ت. ن.، 60). ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مواكبة المؤسسات البحثية حركة المجتمع والتغيرات المتلاحقة فيه، والدراسة السريعة لها، تساعد الباحث في الوصول إلى النتائج العلمية والاستفادة منها قبل فوات الأوان،وتحدّ من صعوبات التنبؤ العلمي بمستقبل الظاهرة الاجتماعية.

5 – إن اعتماد الباحث في تنبئه العلمي على القوانين العلمية، يتطلب أن تتسم هذه القوانين بثبات الصدق" ومع ذلك فإنّ النظريات والقضايا والقوانين في تطور مستمر، ومن ثم فهي ليست صادقة صدقاً مطلقاً، ويمكن أن يثبت كذبها في المدى الطويل أو القصير. ويرجع هذا إلى أن أدوات القياس تحدّ من التنبؤ، فإذا ما انتقل الباحث من ميكروسكوب إلى ميكرو سكوب آخر، فإن قدرته على التنبؤ قد تنخفض أو ترتفع. كذلك فإنّ الباحث العلمي على استعداد دائماً للتخلي عن النظريات السابقة، إذا ما استجدت وقائع على خلاف ما تفترضه القضايا والتعميمات التي تؤلف بناء النظرية"(رشوان، 1992، 13).

اثنا عشر: النتائج:

1– يرتبط التنبؤ العلمي بالنظرية العلمية التي تشكل الإطار النظري للبحث، حيث يرتكز الباحث في تنبؤاته العلمية على القوانين المستمدة من النظرية الموجهة للبحث.

2 – يرتكز التنبؤ العلمي على الإجراءات المنهجية التي تتوافق مع النظرية العلمية المفسرة لآلية حدوث الظاهرة في الماضي، حيث تمكِّن الإجراءات المنهجية الباحث من اختبار فروض النظرية، والتأكد من صدق قوانينها التي ستستخدم في التنبؤ بمستقبل الظاهرة.

3 – يتوقف التنبؤ العلمي الدقيق، بالإضافة إلى معرفة الأسباب الحقيقية لحدوث الظاهرة، على الإحاطة الكاملة والمتعمقة والاستشراف الشفاف للظروف التي ستنشأ بها الظاهرة في المستقبل، فتغير الظروف يعني تغير العلاقة بين السبب والنتيجة، وبذلك لن تكون النتيجة بالمستقبل، كما كانت بالماضي، إذا تغيرت الظروف.

4 – إن التنبؤ العلمي واستشراف المستقبل، يُعدَّان الأساس العلمي لنجاح الخطط التنموية المستقبلية للارتقاء بالمجتمع وتطويره، فالتنبؤ بالأضرار الناجمة عن تطوير الصناعات الكيميائية، مثلاً، يدفع الباحثين في مجالات التنمية المستدامة، لاتخاذ الإجراءات الوقائية الكفيلة بالتخلص بشكل آمن من المخلفات التي ستنتج عن هذه الصناعة قبل إنشائها، وبذلك يضمنون أن تطوير الصناعة لن يسهم في تلوث البيئة المحيطة بنا.

5 – إن تنبؤ الباحث الاجتماعي، يكون أيسر وأكثر دقة في المجتمعات التي تمتاز ببساطة حياتها الاجتماعية، وبثباتها النسبي، وببطء التغيرات الجارية فيها، وبضعف تطورها التكنولوجي، إذا ما قورنت بالمجتمعات التي تمتاز بتعقد حياتها الاجتماعية. وتشابك الأسباب وتداخل العوامل التي تؤدي إلى تشكل الظاهرة الاجتماعية،وبالتغيرات المتسارعة فيها، وبتطورها التكنولوجي بشكل عام، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات بشكل خاص.

الخاتمة:

عالجت هذه الدراسة مسألة التنبؤ العلمي في العلوم الاجتماعية في إطار البحث العلمي الاجتماعي، وأوضحت الارتباط الوثيق للتنبؤ العلمي بالنظرية العلمية الموجهة للبحث والمفسرة للظاهرة المدروسة. وكما ألقت الضوء على أهمية الإجراءات المنهجية الملائمة للنظرية المستخدمة في البحث، ولطبيعة موضوع الدراسة في الوصول إلى التنبؤ العلمي لمسار الظاهرة المستقبلي. وتناولت الدور الذي تؤديه الظروف في تحديد العلاقة بين مفهومي السبب والنتيجة. وأشارت إلى أن التغير في الظروف المحيطة بالسبب أو الأسباب التي تؤدّي سوية مع الأسباب إلى حدوث النتيجة، يؤدّي إلى تغير العلاقة بين السبب والنتيجة. وتطرَّقت الدراسة إلى أهمية التنبؤ العلمي واستشراف المستقبل في صياغة النظرة التنموية المستقبلية للمجتمع. وأكدت أيضاً أهمية التنبؤ العلمي، ودِقّته في إنجاز عملية الضبط والتحكم في الظواهر الاجتماعية. وأشارت إلى عدد من الصعوبات التي تعيق عملية التنبؤ في العلوم الاجتماعية، كتعقد الظواهر الاجتماعية وتشابكها وتداخلها وسرعة تغيرها، وتأثرها بالإرادة الإنسانية للبشر. وتوصلت إلى عدد من النتائج نذكر منها الآتي:يرتبط التنبؤ العلمي بالنظرية العلمية التي تشكّل الإطار النظري للبحث. ويرتكز التنبؤ العلمي على الإجراءات المنهجية التي تتوافق مع النظرية العلمية المفسرة لآلية حدوث الظاهرة في الماضي. ويتوقف التنبؤ العلمي الدقيق، بالإضافة إلى معرفة الأسباب الحقيقية لحدوث الظاهرة، على الإحاطة الكاملة والمتعمقة والاستشراف الشفاف للظروف التي ستنشأ بها الظاهرة في المستقبل.

مصادر البحث، ومراجعه:

1. أبو حمدان، ماجد ملحم، أصول كتابة البحث العلمي الاجتماعي، جامعة دمشق، دمشق، 2013 – 2014.
2. أحمد، يوسف أحمد،" الدراسات المستقبلية ودور مراكز ومعاهد البحوث"، سلسلة التحاليل والاستشراف، عدد 2، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2009.
3. بدر، أحمد، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط9، المكتبة الأكاديمية، الدوحة، 1994.
4. بريك، يوسف، مناهج البحث في علم الاجتماع، ط 2، جامعة دمشق، دمشق، 2002 – 2003.
5. بوبر كارل، بؤس الأيديولوجيا: نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، ترجمة عبد الحميد صَبره، دار الساقي، بيروت، 1992.
6. بوبر، كارل، النفس ودماغها، ترجمة عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، 2012.
7. التابعي، كمال والمكاوي، علي، علم الاجتماع العام، دار النشر الإلكتروني، www.kotobarabia.com
8. جونز، فيليب، النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، ترجمة محمد ياسر الخواجة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.
9. حامد، خالد، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007. (مأخوذ عن: حكيمة، 2017، 266).
10. حكيمة، وشنان،" النظرية العلمية وعلاقتها بالبحث العلمي: البحث الاجتماعي نموذجاً، مجلة آفاق للعلوم، العدد السابع، جامعة الجلفة، الجلفة، 2017.
11. رشوان، حسين عبد الحميد أحمد، العلم والبحث العلمي: دراسة في مناهج العلوم، ط 5، المكتب الجامعي الحديث، إسكندرية، 1992.
12. صابر، فاطمة عوض، خفاجة، ميرفت علي، أسس ومبادئ البحث العلمي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، إسكندرية، 2002.
13. عالي، حسن،" إشكالية المنهج في علوم الإنسان بين الأصل والعصر" المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السابع، 2018.

14. عطوي، جودت عزت، البحث العلمي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عَمَّان، 2009.
15. عمر، معن خليل، نظريات معاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق، عَمَّان، 2005. (مأخوذ عن: حكيمة، 2017، 269).
16. العنبكي، طه حميد حسن، زاير، نرجس حسين، أصول البحث العلمي في العلوم السياسية، دار الأمان، الرباط، 2015.
17. عودة، محمود، أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د. ت. ن.
18. غيث، محمد ومحمد، محمد علي، دراسات في التنمية والتخطيط الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986.
19. كان، هيرمان وآخرون، العلم بعد مائتي عام: الثورة العلمية التكنولوجية خلال القرنين القادمين، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، العدد 55، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982.
20. مرحبا، محمد عبد الرحمن، جديد في مقدمة ابن خلدون، د. د. ن.، بيروت، 1989. (مأخوذ عن: بريك، 2002 – 2003، 53).
21. هارسنياي، زولت، هتون، ريتشارد،" التنبؤ الوراثي"، عالم المعرفة، العدد 130، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 1988.
22. Engels, F., Dialektik der Natur, in: MEW,Bd. 20.
مأخوذ عن: (بريك، 2002 – 2003، 165).
23. Shutts, Russel, Investigating the Social World: The Process and Practice of Research. Pennsylvania: Pine Forge Academy, 2004.

(مأخوذ عن: رندة ناصر، العلوم الاجتماعية والموضوعية: من عقدة" المعطف الأبيض" إلى" الرغبة في أن تضمنا خيمة العلم، جامعة بير زيت، بير زيت، 2017، 237.(https://www.researgate.net/